

تاريخ القبول: 2025/10/23

تاريخ الإرسال: 2025/06/10

تاريخ النشر: 2025/11/30

إيكولوجيا الرمز والبنى الاجتماعية والثقافية للطقوس الفلاحية في
المجتمعات المحلية - دراسة سوسيو-إثنوغرافية لحالة بلدة عمر

Symbolic Ecology and the Socio-Cultural Structures of Agricultural Rituals in Local Communities: A Socio-Ethnographic Study of the Case of Omer Village

أبو الفتوح بوهريرة¹

جامعة تامنغست (الجزائر)،

الإيميل المهني: ¹ abouelfoutouhbouhoreira@univ-tam.dz

الملخص:

تهدف هذا الدراسة إلى تحليل الأبعاد الاجتماعية والثقافية للطقوس الزراعية في قرية عمر بواحة وادي ريغ جنوب الجزائر، مثل "زيارة النخلة" و"لمبات"، عبر منهجية سوسيو-إثنوغرافية، بحيث تركز على دور هذه الممارسات في إعادة إنتاج الهوية الثقافية وتعزيز التماسك الاجتماعي، ومواجهة التحديات البيئية الاجتماعية للأجيال.

كما أظهرت النتائج أن الطقوس المذكورة تُعتبر رموزاً ثقافية تجسد العلاقة التفاعلية بين الإنسان والطبيعة، وتسهم في نقل القيم والمعرفة الفلاحية التقليدية، كما تشكل فضاء لحل النزاعات وتعزيز التضامن عبر آليات رمزية وتفاعلية، كما بينت أن تأثر هذه العادات بالتحولات الحديثة كالتصحر وتغير المناخ وروافد الحداثة، يستدعي استراتيجيات للحفاظ على التراث غير المادي في سياق ديناميكي مجتمعي.

الكلمات المفتاحية: العادات المحلية، الطقوس الفلاحية، التراث اللامادي، الرمز الثقافي.

Abstract:

This study aims to analyze the socio-cultural dimensions of agricultural rituals in Aïd Omer village, located in the Wadi Righ oasis of southern Algeria—specifically the Ziyarat an-Nakhla (palm tree visit) and Lembat ceremonies—through a socio-ethnographic methodology. It focuses on how these practices reproduce cultural identity, strengthen social cohesion, and address intergenerational environmental and societal challenges.

Findings reveal that these rituals function as cultural symbols, embodying the reciprocal relationship between humans and nature. They facilitate the transmission of traditional agrarian values and knowledge while serving as symbolic and interactive frameworks for conflict resolution and solidarity-building. Additionally, the study highlights the impact of modern transformations, such as desertification, climate change, and globalization, which necessitate adaptive strategies to preserve intangible heritage within a dynamic social context. The research underscores the urgency of safeguarding such cultural practices to sustain rural communities' resilience and their symbiotic ties to ecological and historical landscapes.

Keywords:

Local Customs; Agricultural Rituals; Intangible Heritage; Cultural Symbol

المؤلف المرسل: أبو الفتوح بوهريرة، الإيميل:

ABOUELFOUTOUHBOUHOREIRA@UNIV-TAM.DZ

1. مقدمة:

يتميز المجتمع الجزائري بتنوع ثقافي يعكس خصوصية المناطق، ويتجلى في أنماط السلوك والعادات المشتركة مع اختلاف الممارسات الطقوسية وفق السياق الجغرافي والاجتماعي، يظهر هذا التنوع بوضوح في طقوس استقبال المواسم الزراعية والفلاحية، التي تمثل تفاعلا بين البنى الاجتماعية والبيئية في إطار التعدد الإثنوي الجزائري، وتعد احتفاء موسميا لتأكيد الهوية الاجتماعية والرمزية لهم، وتختلف

ممارسات هذه الطقوس زمانيا ومكانيا ففي شمال الجزائر (مثل منطقة القبائل والشاوية) تقام في شهري جانفي مارس، بينما تحييها المجموعات الأمازيغية الجنوبية (كشلوكة وادي ريغ والزناينة ماعدا التارقية) في شهري جويلية وأكتوبر، بأساليب فريدة تعكس جذورها التاريخية وتكيفها مع البيئات الصحراوية وشبه الصحراوية.

رغم وفرة الدراسات السوسيو-أنثروبولوجية للطقوس الزراعية والفلاحية في سياقات عالمية (مثل شم النسيم في مصر والنيوروز في آسيا الوسطى وإيران)، لاحظنا نقصا حاد في الأبحاث المتعمقة عن هذه الظاهرة في المجتمعات الصحراوية بشمال إفريقيا، خاصة في منظورها السوسيولوجي، فبينما حظيت مناطق كالقبائل والأوراس (شمال الجزائر) ببعض الاهتمام البحثي، يظل مجتمع واحات وادي ريغ - ذو الجذور الأمازيغية (الريغيين) الضاربة في تاريخ ما قبل الإسلام - مجالا بكارا لم يستكشف كفاية، بما تملكه من موروث شفوي ومادي غني للمنطقة، والذي يعكس اندماجا لحضارات متعاقبة ويواجه خطر التغير الثقافي، ويحتاج لمقاربة سوسيو-أنثروبولوجية عاجلة لإعادة تأصيل هذه الطقوس ودورها في صون الهوية الجماعية.

بناءً على ذلك، يعرف مجتمع وادي ريغ - الذي يطلق على أبنائه اسم "رجال الحشان" لارتباطهم الوثيق بزراعة النخيل - وبالريغيين نسبة لقبيلة ريغ الأمازيغية، محافظا على طقوس موسمية مميزة لاستقبال المواسم الفلاحية، والتي تعد متجذرة في ثقافته ومرتبطة بدورة إنتاج النخيل، وتعمل هذه الطقوس كفضاءات رمزية تشكل آلية دفاع جماعية ضد خطر التهميط والاندثار الثقافي، وتمارس هذه الطقوس في قرى الواحات الممتدة عبر المنطقة (بما فيها قرى حاضرة تماسين وبلدة عمر/تين يسلي)، حيث تتجلى في ممارسات محددة مثل: "زيارة النخلة" (أدور نتازديت) في شهر جويلية المرتبط بتلقيح النخيل، و"عيد لمبات" (أمنسي) في شهر أكتوبر بمناسبة جني التمور.

لا تختزل هذه الممارسات في كونها طقوسا احتفالية فحسب، بل تمثل تعبيراً جوهريا عن هوية ثقافية جماعية، فهي تجسد قيما اجتماعية متشابكة الأبعاد (دينية، اقتصادية، ثقافية) كالتعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي (التوزيع)، وتعمل على

تمتد الروابط المجتمعية كاستراتيجية تكيف مع التحديات البيئية والاجتماعية في البيئة الصحراوية، كما تعد مؤشرا تاريخيا على أنماط الاستقرار المرتبطة بهجرات سابقة من غرب تونس وجنوب الصحراء، حيث أسهم توافر الموارد المائية والزراعية في استمرارية هذا التراث، وقد جرى توثيق هذه الممارسات في مصادر تراثية محلية بارزة (مثل كتابات بنى عبد الجليل والطاهر بن دانة)، بالإضافة إلى مدونات الرحالة والدارسين الأجانب (كايزيدور لوزير حول التنوع البيئي والاجتماعي، وإدمون دستانج حول اللهجات البربرية)، فضلا عن الوثائق الإدارية الفرنسية التي رصدت حركة القوافل والضرائب والصراعات القبلية بالمنطقة.

وعليه تكتسب هذه الدراسة أهميتها من منظورها السوسيو-أنثروبولوجي، الذي يركز على تحليل الأبعاد السوسيو-ثقافية لطقوس الفلاحة في مجتمع بلدة عمر بواحات واد ريغ (الجنوب الجزائري)، كون هذا المجتمع نموذجا للمجتمعات المحلية التي حافظت على موروثها اللامادي عبر الأجيال، وذلك من خلال الإجابة على تساؤلات بحثية تهدف إلى فهم إشكالياتها المركزية التي تدور حول:

- كيف تسهم طقوس الفلاحة في تشكيل تمثلات ثقافية تعيد إنتاج الواقع الاجتماعي، بما يحافظ على الهوية الجماعية وتعزيز التماسك الاجتماعي؟
- ولإجابة على هذا السؤال الرئيس، تنبثق منه التساؤلات الفرعية التالية:
- ما الآليات السوسيو-ثقافية لتنظيم الطقوس الفلاحية في بلدة عمر؟
- كيف تنتج هذه الممارسات الهوية الجماعية لسكان بلدة عمر؟
- ما القيم الاجتماعية التي تعكسها هذه الأنظمة الرمزية لسكان بلدة عمر؟

2. أهمية وأهداف الدراسة:

- تتمثل أهمية وأهداف هذه الدراسة في سعيها لتسليط الضوء على الإرث الثقافي الشعبي لمجتمع وادي ريغ (تحديدا قرية بلدة عمر)، مستفيدة من الخلفية الشخصية للباحث كابن للمنطقة وإمامه المباشر بممارساتها. وتهدف إلى:
- توثيق العادات الاحتفالية المحلية المرتبطة بزيارة النخلة ولمبات (والتي تعاني ندرة في الدراسات الأكاديمية).

- تحليل الهوية الثقافية والدلالات الرمزية لهذه الممارسات، خاصة في ظل تصنيف بعضها محلياً كمعتقدات غيبية/شركية مما يعيق مناقشتها علناً.

- دمج هذه الممارسات في الميدان العلمي عبر منظور سوسيو-أنثروبولوجي؛ لفهمها مجتمعياً ووضعها في سياقها الحضاري الصحيح، وتجاوز التحيزات المرتبطة بتوصيفها.

تعد هذه الجهود مساهمة في حفظ التراث غير المادي وإثراء المعرفة الأكاديمية بالتنوع الثقافي الريفي

3. عينة الدراسة:

اعتمدت الدراسة منهجية بحثية نوعية (كيفية)، مستخدمة أسلوب العينة القصدية لاختيار أفراد من سكان قرية بلدة عمر (مجتمع متجانس ثقافياً)، حيث تم اختيار المشاركين بناء على:

- مشاركتهم الفاعلة في الحفاظ على الموروث الثقافي المحلي
- اهتمامهم الواضح بالمعتقدات والطقوس التي تشكل الهوية المجتمعية.

تسهم الخصائص الثقافية والتجربة الحياتية المباشرة لهذه العينة في ضمان عمق البيانات وموثوقيتها، نظراً لقربهم من الظاهرة المدروسة. هدفت المنهجية إلى:

- تحليل الدلالات الرمزية والوظائف الاجتماعية للممارسات التقليدية
- ربط المستويين الفردي والجماعي عبر السياق التاريخي (الماضي-الحاضر)
- توظيف أدوات التحليل النقدي والتفسير السياقي ضمن إطار سوسيوأنثروبولوجي
4. منهج الدراسة:

تتدرج الدراسة ضمن البحث السوسيو-أنثروبولوجي، بتركيزه على تحليل الظواهر الثقافية في سياقها الطبيعي والكشف عن العوامل المشكلة لهويتها المجتمعية، وتعتمد منهجياً على المنهج الاثنوجرافي من خلال:

- الانغماس الميداني العميق في بيئة المجتمع (ملاحظة الممارسات + التفاعل المباشر مع الأفراد).

- تحليل الأنظمة الرمزية والمعاني المرتبطة بالطقوس (ك"زيارة النخلة ولمبات").

- توظيف أدوات جمع البيانات المتمثلة في:

- تسجيل الشهادات الشفهية.
- تحليل الخطابات الثقافية.
- رصد الديناميكيات الاجتماعية في سياقاتها الحيوية.

5. مجال وأدوات الدراسة:

أُجريت الدراسة الميدانية في بلدية بلدة عمر (ولاية تفرت، جنوب الجزائر)، كحالة دراسية لمجتمع ريفي حافظ على خصائصه الثقافية والاجتماعية والمهنية، حيث تهيمن عليه زراعة النخيل كنشاط اقتصادي رئيسي، تميز المجتمع بممارسة طقوس مرتبطة بالمواسم الفلاحية (كزيارة النخلة ولمبات) كجزء من هويته الثقافية، غطت فترة البحث جويلية-أكتوبر 2022 لتتزامن مع إحياء هذه الطقوس، مع اعتماد منهج المعاشة الميدانية للباحث كجزء من النسيج الاجتماعي، مما أتاح تسجيلاً مشاركاً ودقيقاً للملاحظات.

اعتمدت الدراسة على المنهج الإثنوغرافي عبر أداتين رئيسيتين:

- **الملاحظة المشاركة:** وذلك من خلال انخراط الباحث في طقوس "زيارة النخلة ولمبات" كعضو نشط، مع تسجيل السلوك الجماعي والتفاعلات والدلالات الرمزية، والعمل على مقارنة الملاحظات بالروايات الشفهية.

- **المقابلات:** من خلال اعتماد كل من:

- **الموجهة:** من خلال جمع بيانات عن (أصل الطقوس، الوظيفة الاجتماعية، الصورة الثقافية) عبر أربع محاور هي: البيانات الديموغرافية، الجذور التاريخية، والأساطير الممارسات الرمزية (غناء، رقص، تبرعات)، الأبعاد الاجتماعية والثقافية (التماسك، الهوية).

- **غير الموجهة:** حيث تم تطبيقها على المخبرين المحليين من المبحوثين من (كبار السن، الأعيان) لاستكشاف التفسيرات الغيبية والروايات الشفهية غير المسجلة.
- تم استخدام أسلوب التحليل الموضوعي لربط البيانات بالسياقات الثقافية والاجتماعية، وذلك بمحاولة الكشف عن دور الطقوس في تعزيز الانتماء الجماعي

ونقل القيم، والتعرف على الدلالات الرمزية (مثل تمثيل النخلة للخصوبة والعطاء)، مع رصد تفاعل الممارسات التقليدية مع تحديات الحداثة.

6. الإطار العملي والميداني لموضوع الدراسة:

الحنمية السوسولوجية في معالجة مختلف المواضيع العلمية، تفرض علينا مراجعة نسبة من الأدبيات النظرية المتاحة على ساحة المعرفة، والتي نراها على الأقل لها علاقة بالموضوع أو بأحد جوانبه، وذلك إنطلاقاً من التركيز على تبين السياق المعرفي للمفاهيم، السياقات النظرية، مع تحليل ومناقشة النتائج الميدانية .

1.6 السياق المعرفي لمفاهيم الدراسة:

شملت الدراسة على عدة مفاهيم مستخدمة لتحديد جوانب الموضوع ميدانياً،

وهي على النحو التالي:

- أمازيغ واد ريغ (الشلوحة): سكان منطقة وادي ريغ ينحدرون من جذور أمازيغية-بربرية عميقة، مع ارتباط قبائل "الرواغة" (أو الحشاشنة) بأصل زناتي، وهو ما أكدته المصادر الكلاسيكية مثل ابن خلدون، الذي يُعد مرجعاً أساسياً في تحليل التركيب العرقي للشعوب المغاربية، وقد تعرض هذا الأساس الزناتي عبر القرون لعمليات اندماج ديموغرافي مع موجات هجرة متعددة، شملت قبائل عربية من مناطق الزاب وتونس والمغرب، بالإضافة إلى أفراد من أصول سودانية جلبوا عبر سوق تفرقت في إطار شبكات التجارة عبر الصحراء¹.

أدت هذه التفاعلات التاريخية إلى ظاهرة الهجنة الثقافية والجينية، حيث تشكل مجتمع محلي متجانس نسبياً بفعل الروابط النسبية والمصاهرة بين المجموعات المختلفة، كما تظهر الأبحاث الحديثة أن التركيب العرقي الحالي للسكان يعكس هذا التمازج، حيث ينتمي السكان إلى مجموعات متنوعة تشمل "الرواغة الأصليين، والزوايا العربية، والمولدين (ذوي الأصول المختلطة)، والسودان"²، وهو ما يعزز البعد الجغرافي والتاريخي للمنطقة كفضاء تلاقٍ حضاري بين الشمال الإفريقي وجنوب الصحراء.

وعليه يمكن اعتبار وادي ريغ مزيج إثني في الصحراء الجزائرية، حيث تفاعل العناصر البربرية والعربية والأفريقية عبر قرون من التبادل التجاري والثقافي، مما شل هوية محلية متعددة الطبقات ترتبط ارتباطا وثيقا بالشبكات الأمازيغية الأوسع في شمال إفريقيا.

- **التراث الثقافي اللامادي:** يشير إلى منظومة ديناميكية من الممارسات الاجتماعية، والتمثيلات الرمزية، والأنظمة المعرفية، والتعبيرات الإبداعية التي تشكل هوية جماعية لفئة أو مجتمع معين، وتنقل عبر الأجيال بوصفها وسيلة لتأطير العلاقات الاجتماعية وتعزيز الانتماء المجتمعي، ويضم هذا التراث عناصر متعددة مثل العادات والتقاليد الطقوسية، والفنون الشفهية والغنائية، والموسيقى والرقصات الشعبية، والمعرفة التقليدية المرتبطة بالبيئة والحرف اليدوية، والاحتفالات الجماعية، وأنماط السلوك التشاركي، التي تتفاعل مع السياقات الاجتماعية والثقافية لتجد تجديدا مستمرا في طبيعتها ووظائفها³.

بحيث يعد هذا التراث ركنا أساسيا في بناء الهوية الثقافية الجماعية، حيث يعبر عن القيم المشتركة، والذاكرة الاجتماعية، والهوية الرمزية التي تجمع بين أفراد المجتمع، كما يسهم في تعزيز التماسك الاجتماعي عبر ترسيخ الروابط بين الأفراد من خلال المشاركة في الطقوس والاحتفالات، ونقل الحكايات والمعاني عبر الأجيال، مما يضمن الاستمرارية الثقافية في وجه التحولات الاجتماعية والاقتصادية⁴.

- **العادات المحلية:** تشير إلى الممارسات الطقوسية والسلوكية التي تتخذ طابع التكرار والاستمرارية داخل المجتمعات المحلية، وتعد من العناصر الأساسية في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية لتلك المجتمعات، يستخدم هذا المفهوم في الأوساط السوسبولوجية لفهم التمايزات البنيوية بين المجتمعات الريفية والحضرية، حيث تعتبر العادات المحلية مؤشرا على طبيعة العلاقات الاجتماعية وآليات تنظيم الحياة الجماعية، ويركز الباحثون في العلوم الاجتماعية في هذا الشأن على ثلاثة محاور أساسية لتحديد خصائص المجتمع المحلي، وهي⁵ :

- الموقع الجغرافي (المحور المكاني): يشير إلى الانتماء الجماعي لفضاء جغرافي محدد (كالقرية أو الحي)، حيث يشترك الأفراد في الملكية الرمزية أو الارتباط التاريخي بالموقع، مما يشكل إطارا مكانيا مشتركا للتفاعل الاجتماعي، ويرتبط هذا المحور بالهوية المكانية التي ترسخ الشعور بالانتماء والتماسك المجتمعي.

- الوحدة الثقافية (المحور الرمزي): يتمثل في التشارك في نظام رمزي مشترك يتضمن القيم، والمعتقدات، والأساطير، واللغة، والرموز الثقافية، والتي تشكل إطارا مرجعيا لفهم الواقع وتنظيم السلوك، وتعتبر هذه الوحدة عنصرا حاسما في التمايز الثقافي بين المجتمعات، حيث تعزز من الهوية الجماعية عبر نقل الممارسات والمعاني عبر الأجيال .

- العلاقات الاجتماعية (المحور التفاعلي): تحدد هذه العلاقات عبر القوى الناعمة التي تتضمن القواعد غير الرسمية (كالعادات والتقاليد) والمؤسسات الاجتماعية (كالعائلة والقبيلة)، والتي تضبط أنماط التفاعل وتعيد إنتاج التفاهات المشتركة، إذ تعتبر هذه العلاقات آلية تنظيمية تحافظ على التوازن الاجتماعي عبر ترسيخ القيم وتنمية الشعور بالانتماء.

وعليه فإن سياق هذه دراسة يركز على عاداتي زيارة النخلة ولمبات في بلدية بلدة عمر، توظف هذه المحاور الثلاثة كإطار نظري لفهم كيفية إعادة إنتاج الثقافة المحلية وترسيخها عبر الممارسات الطقوسية، حيث تظهر هذه العادات كيف تتفاعل العناصر المكانية، والثقافية، والاجتماعية لتشكيل نظام احتقالي يعبر عن القيم المجتمعية ويعزز من التماسك بين الأفراد وتوضيح الفوارق بين المجتمعات الريفية التي تحافظ على طابعها التقليدي، والمجتمعات الحضرية التي تتأثر بالعولمة والتحولات الاقتصادية.

2.6 المورفولوجيا الاجتماعية والاقتصادية لقروية بلدة عمر:

يعد العرف الاجتماعي هو المحرك الرئيس للنظام الاجتماعي في العالم القروي عموما، والذي يتم من خلاله تنظيم حياة الاجتماعية للسكان وفرض الرقابة الاجتماعية عليهم عبر تجسيد السلطة الأبوية، من خلال مختلف المبادئ والقوانين

والمعايير التي تحملها، كما يعد له الفضل في الحفاظ على مخزون الموروث الثقافي الشعبي وأصالته، ويسهل تناقله بسلسلة بين الأجيال المتعاقبة.

والقرية بمفهومها تعني إلى حد كبير مفهوم الريف في شكله العام وهو جماعة سكنية تقيم بمنطقة معينة تعيش على الفلاحة بمفهومها الشامل: الزراعة، الرعي وتربية المواشي، الجمع والالتقاط، وتتميز بفضاء وكيان خاص ولها مصالح مشتركة، تحكمها مجموعة من الأعراف والقوانين الخاصة والقيم التي تميزها عن غيرها من الفضاءات السكنية الأخرى⁶، وهم يتميزون بخصائص اجتماعية عن غيرهم من أهل الحضر فهم أكثر جدية في التعامل مع الوقت واحترامه، ويعملون على سد الاحتياجات الأساسية من غذاء لهم وأعلاف وكأ لمواشيهم، وهم كذلك أكثر عملاً واجتهاداً وصحة، ويكون ولائهم وانتماءهم للعشيرة وذوي القرية⁷.

تمثل بلدية بلدة عمر (بوادي ريغ، جنوب الجزائر) نموذجاً للمجتمعات الريفية الحافظة لخصائصها الثقافية والاجتماعية عبر العصور، رغم ندرة المصادر المكتوبة عن تاريخها قبل الفتح الإسلامي، لكن وفق الروايات الشفهية استقر السكان الأصليون في حيز جغرافي يمتد بين تماسين وتقرت شمالاً وقوق وحجيرة جنوباً، حيث أسسوا نظاماً فلاحياً قائماً على استغلال التربة الرملية-الغضارية الخصبة لزراعة النخيل، لا تزال هذه النوع من الزراعة تشكل العمود الفقري لاقتصاد المنطقة، مدعومة بتوافر المياه الجوفية السطحية التي عززت تطوير زراعة النخيل ومنتجاتها كركيزة للنظام الاجتماعي-الاقتصادي المحلي.

استوطن السكان الأصليون موقع يسمى بـ"جلالة" أو "أجلو" أو "ستارة" تارة أخرى غرب البلدة الحالية، حيث تكثفت الوحدات السكنية الريفية (العروش) نتيجة الطبيعة الفلاحية المشتركة بين الساكنة، وقد ساهمت المساحات الزراعية الواسعة في الحد من النزاعات على ملكية الأراضي، ومن جهة أخرى في تعزيز قيم التكافل الاجتماعي، متمثلة في ممارسات التوزيع وهو عمل جماعي لمساعدة العائلات في المناسبات، كذلك التعاون المجتمعي الموسمي (حرب الأرض وغرس النخيل، سقي

المحاصيل، توفير الغذاء)، لذلك تعد هذه الممارسات تجسيدا للعلاقات التبادلية المنظمة للحياة الجماعية، وحافطة للهوية الثقافية عبر الأجيال.

انتقل سكان بلدية بلدة عمر بعد قرن تقريبا إلى موقعهم الحالي (شرق الموقع الأصلي)، والذي كان يعرف سابقا كأحد الأحياء التابع لبلدة تن يسلي التاريخية حسب ما ورد في كثير من شهادات المبحوثين، وساهم إنشاء المدارس والمساجد والتي عملت بدورها على دمج المجتمع في النظام التعليمي الحديث، وفتح آفاق التفاعل مع المحيط الحضري.

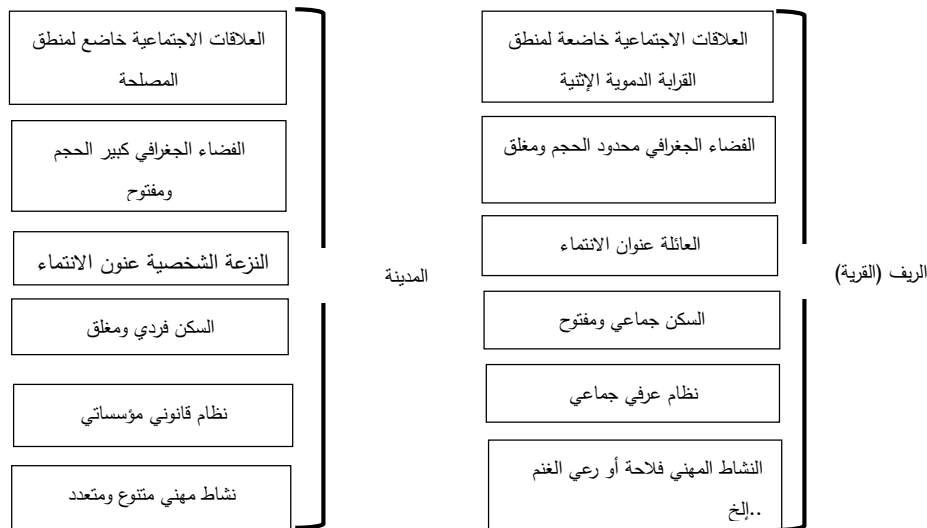
أدت هذه التحولات إلى بروز ثلاثة مستويات من التغيير، وهي تتعلق بكل من توسيع الخدمات من خلال إنشاء أسواق وتعبيد طرق ربط بين القرى المجاورة، كذلك تنويع النشاط الاقتصادي مع ظهور مهن غير فلاحية ك (الوظائف الحكومية، التجارة، التعليم)، والتحول الأبرز هنا هو الانفتاح الثقافي من خلال اكتساب كفاءات حديثة للجيل الشاب وتبادل الخبرات خارج الإطار الريفي.

رغم التحولات الحديثة، حافظت بلدة عمر على الانتماء القبلي والزراعي كآلية لحفظ تراثها غير المادي، حيث تعدّ العروش (الوحدات العائلية/القبيلة) المحور الأساس في استمرارية طقوس مثل "زيارة النخلة ولمبات"، تمارس هذه الطقوس كفضاء لإعادة إنتاج الهوية الجماعية وتعزيز التنافس الرمزي بينهم عبر التفاخر بالموارد البشرية والمادية التي تمتلكها.

النظام الاجتماعي متأثر بطبيعة الحال بالوسط الجغرافي الذي يعيشه سكان بلدة عمر، من حيث البيئة الصحراوية وقساوة العيش جعلهم يحافظون على العادات والتقاليد المرتبط بقيم التعاون والتماسك والتضامن، " فلقد حملت الطبيعة القاسية لمنطقة وادي ريغ أسلوب حياة الناس وربطت بينهم عادات إجتماعية تترجم علاقتهم بالحياة وتحدد نظمهم الاجتماعية وساهمت في تمسك أفراد المجتمع بنظام إجتماعي متماسك، وتدور هذه العادات حول مجموعة من الممارسات منها التوزيع هذه الممارسة التي حكمتها الطبيعة القاسية للصحراء التي تحتاج إلى المقاومة والعمل والتعاون في بناء المساكن وحفر الخنادق وجني الثمر وحصاد الزرع...⁸ .

حتى فترات حديثة، طبق مجتمع بلدة عمر نظام حكم تقليديا قائما على الحكم الجماعي، تجسد في هيئة "جماعة العشرة" المكونة من عشرة وجهاء وخبراء من المجتمع، يختارون بمعايير الكفاءة والصلاح والمعرفة، وقد تمثلت وظائف هذه الهيئة حسب ما أفضت إليه مقابلة المحوثين في فض النزاعات عبر وساطة عرفية تستند للمعايير الثقافية، وإدارة الموارد من خلال توزيع الملكيات الزراعية ومياه السقي لضمان الاستقرار الإنتاجي، كذلك تعزيز التماسك المجتمعي من خلال تنظيم ممارسات التضامن (كالتبزية) كتعبير عن المسؤولية الجماعية، يضاف إلى ذلك مساعي صون الهوية الثقافية عبر تشجيع الطقوس المحلية (كزيارة النخلة ولمبات) لنقل الذاكرة الجمعية بين أجيال البلدة.

إن مختلف العادات المحلية ومختلف الممارسات الثقافية التقليدية، يمكن ملاحظتها في القرى والأرياف بقوة على عكس المدن نظرا لطبيعة النظام الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذي يوطر فضاء العلاقات الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية الذي يجمع الساكنة مع بعضهم البعض ويمكن لنا حصر هذه الطبيعة في الشكل التالي:⁹



شكل رقم 01: يبين الفروق الجوهرية القائمة بين الريف والمدينة

هذه الحالة تعكس لنا نمط النظام الاجتماعي القائم على التضامن العضوي في تسير شؤون الحياة الاجتماعية والذي يميز المجتمعات البسيطة بالمفهوم الدوركايي.

3.6 مورفولوجيا الموروث الثقافي الشعبي لمجتمع بلدة عمر:

يتميز الموروث الثقافي غير المادي لإقليم واد ريغ (وخصوصا بلدية بلدة عمر) بأنظمة معتقدات شعبية تشكل إطارا تفسيريا رمزيا لعلاقة الإنسان بالطبيعة والقوى الغيبية، وتعد هذه المعتقدات تجسيدا لـ "الكونية الشعبية" التي تنظم الفهم الثقافي للظواهر الطبيعية والاجتماعية، والتي تتجلى في تقديس الرموز المادية عبر منح عناصر طبيعية (المياه، النخيل، الأحجار) صفة "المقدس الموضعي" وظيفتها تتدرج ضمن آليات جذب البركة أو طرد الأذى (مثل تعليق أشياء مستديرة لصد "العين" أو "الطيرة").

ومنها كذلك الطقوس الوقائية والتي تشمل ممارسات مثل "ضرب الخفي" (صهر المعادن وسكبها بالماء لاستقراء غيبي) و"العزائم" (النذور) و"الحجاب". وكان هدفها التحكم في القوى غير المرئية المؤثرة على الفرد والمجتمع ضف إلى ذلك التضحية كتبادل رمزي عبر تقديم قرابين (كالذبح) لدرء الحسد أو المصائب أو طرد الأرواح الشريرة (الجن/الشياطين)، حيث تعكس مبدأ "التبادل الرمزي" بين البشر والقوى الغيبية.

تشكل هذه الممارسات، التي يصفها الخطاب الحديث أحيانا بالخرافات، جزءا أساسيا من النظام التفسيري المحلي الذي ينظم العلاقات الاجتماعية ويعيد إنتاج الهوية الثقافية، فهي تعمل على تعزيز تماسك المجتمع من خلال مشاركة الجماعة في الطقوس مثل التضحية أو إعداد أطعمة تقليدية، مما يرسى شعور الانتماء والتلاحم بين أفرادها، كما تعد وسيلة لنقل الذاكرة الثقافية عبر الأجيال، إذ تتحول هذه المعتقدات إلى تراث غير مادي يشكل أحد أعمدة الهوية المحلية.

من جهة أخرى، تستخدم هذه الممارسات لتنظيم السلوك الاجتماعي عبر فرض قواعد غير رسمية تنظم العلاقة بين الأفراد والطبيعة، كالحظر على استغلال الموارد دون مراعاة "روح المكان"، وتتجلى أكثر في:

- **البعد الديني:** حيث تسهم الشعائر والطقوس المرتبطة بالدين الإسلامي، وخاصة تلك التي ينتمي إليها التصوف، في تشكيل الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات الريفية. يجمع النظام بين تعاليم الإسلام الرسمية والتراث الغيبي المحلي، ما يخلق نظاماً رمزياً يُنظم العلاقة بين الإنسان والقوى المقدسة. تتجلى مظاهر هذا النظام من خلال تقديس الشخصيات الدينية، سواء كانت على قيد الحياة أو متوفاة، والإيمان بقدراتهم الخارقة في حل المشكلات اليومية، بالإضافة إلى بناء القباب على القبور وتشيد المزارات التي تربط الأرض بالكيان المقدس. كذلك تتبلور الاحتفالات الدينية عبر رحلات الحج المحلية إلى أضرحة الأولياء في مواسم معينة، مع إقامة الولائم وتقديم الهدايا طلباً للبركة والحماية، مما يجعل لهذه الممارسات بعداً رمزياً يتوسط العلاقة بين الإنسان والإلهي.

***البعد الثقافي:** يمثل التراث الثقافي لقرية بلدة عمر وإقليم وادي ريغ عموماً، شبكة معقدة من العادات والتقاليد التي تتجسد في أشكال مادية وشفهية، وتعبّر عن الهوية الجماعية والعلاقات الاجتماعية التي تنظم حياة السكان، يُمكن تصنيف هذا البعد ضمن إطار النظام الرمزي الذي يشكل الفضاء الثقافي للمجتمع، حيث تتفاعل مجموعة من العناصر مع بعضها البعض كالتراث الشفهي (الفولكلور والحكايات والأمثال) عبر الحكايات الشعبية والأمثال الناطقة باللغة المحلية نقلاً للخبرات الحياتية والقيم المجتمعية، مثل الصدق والتعاون والاحترام، كذلك الفانتازيا (الغناء الشعبي) الذي يلعب دوراً في نقل الذاكرة الجماعية وربط الأجيال بالماضي عبر الأساليب الإبداعية والرمزية، أيضاً التراث المادي (الطعام، الملابس، الحرف اليدوي) الذي يظهر من خلال الطعام الشعبي مثل الأطباق المصنوعة من التمر والشعير والقمح (الكسكس بأنواعه)، والذي يعتبر تجسيدا للارتباط التاريخي بالبيئة الطبيعية، ويستخدم كرمز للتكافل الاجتماعي في المناسبات (كالنوازة).

ولا ننسى اللباس التقليدي الذي يعكس الانتماء القبلي (كالزينة الخاصة بالعرش) ويميز القرية عن المجتمعات الحضرية الأخرى، ضف إلى ذلك الحرف اليدوية مثل صناعة السلال من سعف النخل ونسيج القماش والصوف، كلها تشكل رأس مال ثقافي يحافظ على المهارات المتوارثة ويعزز الاقتصاد المحلي، وما يذكر في مقابلة المبحوثين كذلك تأكيدهم على الطابع الفني للبلدة من خلال الفنون والموسيقى والرقص إذ تمارس الرقصات الشعبية (كالدروشة) في الاحتفالات الدينية والاجتماعية (الزواج مثلاً)، وهي تعد وسيلة لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية عبر التفاعل الجسدي والرمزي، كما تعتبر المعازف التقليدية (كالطبل والدبكة) أدوات لتنظيم الإيقاعات الطقوسية، وتعبّر عن الهوية الزراعية المرتبطة بالمواسم كما هي ممثلة في احتفالية حضرة رجال الحشان ضمن منطقة واد ريغ.

3.7 الوظائف الاجتماعية للتراث الثقافي اللامادي في بلدة عمر:

تساهم الممارسات الثقافية في بناء شبكات العلاقات عبر المناسبات المشتركة (كالأعياد والمواسم)، مما يرسخ الانتماء الجماعي والتماسك المجتمعي لسكان المنطقة، وذلك من خلال تنظيم العلاقات الاجتماعية، حيث تحدد العادات والتقاليد قواعد السلوك في الحياة اليومية، مثل آداب الضيافة أو طرق توزيع الموارد، مما يحافظ على التوازن الاجتماعي، كذلك ترسيخ الهوية الثقافية إذ تعيد هذه الممارسات إنتاج الهوية المحلية عبر ربط الأفراد بالماضي، وتميزهم عن المجتمعات الأخرى، وهو ما يشير إلى مفهوم الهوية التراثية، تعسى أيضاً إلى نقل الخبرات عبر الأجيال، إذ تعتبر الحكايات الشفهية والممارسات الطقوسية وسائل لنقل القيم والمعرفة التقليدية، مما يسهم في استمرارية النظام الثقافي.

8. التعريف بالعادات الفلاحية لمجتمع بلدة عمر (زيارة النخلة، لمبات) والأبعاد الاجتماعية والثقافية المرتبطة بها:

تشكل العادات الفلاحية المرتبطة بزراعة النخلة في إقليم وادي ريغ وقرية بلدة عمر نظاماً اقتصادياً وثقافياً متكاملًا، يعكس العلاقة العضوية بين السكان والبيئة، ويعيد إنتاج الهوية الريفية عبر الأجيال، حيث تعدّ النخلة كنبات صحراوي مميز،

رمزا للتكيف مع الظروف المناخية القاسية، أين ترتبط دورة حياتها بعوامل الطقس الحار، ولا تعتمد على مياه الأمطار مما يجعلها محورا اقتصاديا ورمزيا للمجتمع المحلي،

تبدأ دورة الإنتاج في فصل الربيع (أواخر شهر فيفري)، حيث يعد هذا الوقت موسما للتلقيح اليدوي، الذي يمارسه الفلاحون دون استخدام التكنولوجيا الحديثة إلى يومنا هذا، وهو ما يظهر الارتباط بالتقاليد الزراعية التقليدية، حيث تمتد هذه العملية حتى شهر ماي، أين تبدأ مرحلة الإثمار فتظهر ثمار (البلح) في بداية الصيف (شهر جويلية)، وتجمع التمور في فصل الخريف (شهر أكتوبر)، وهي مرحلة تعدّ ذروة النشاط الفلاحي، وتتزامن مع المواسم الاحتفالية التي تعبر عن الشكر والامتنان لله عز وجل على كرمه وعطائه بما جادت به الأرض.

ما يلاحظ هنا أنه غالبا تمارس جميع العمليات الفلاحية يدويا، من التسلق لتلقيح النخل إلى جني الثمار، وهو ما يعزز مفهوم الخبرة المحلية والرأسمال الثقافي المرتبط بالمهارة الفردية والجماعية.

1.8 العادات والطقوس المرتبطة بدورة النخلة في بلدة عمر :

تمثل العادات والطقوس المرتبطة بدورة إنتاج النخيل في منطقة وادي ريغ وبلدة عمر نظاما ثقافيا متكاملًا يجسد العلاقة الروحية-المادية بين المجتمع وبيئته، فمن الناحية الطقسية تمارس شعائر مثل التضحيات لضمان الخصوبة وتعليق الأدوات الزراعية كرموز وقائية، مما يؤسس لإسلام شعبي فلاحي يربط النجاح الزراعي بالقوى الغيبية، ويتجلى في احتفالات موسمية (كبدو صلاح الثمار والجني) تعزز التجديد الرمزي للهوية المكانية عبر الأطعمة التقليدية.

أما من الناحية الاجتماعية-الاقتصادية، فتوفر النخلة موادا للحرف اليدوية (السلال، البناء) والغذاء، كما تستخدم كعملة تبادل رمزية في الشبكات الاجتماعية (كال تبرع بالتمر)، حيث يرتبط العمل الفلاحي بقيم الكرامة والاستقلالية ويعزز مبادئ التضامن عبر آليات مثل "التوزيع" (العمل الجماعي)، وتشكل الأرض هنا ركيزة لالتئام تحفظ القيم التقليدية (الكرم، الإخلاص) المميزة للهوية الريفية، إلا أن هذا

النظام يواجه تهديدات متعددة من خلال التغيرات المناخية (الجفاف) التي تضعف الاستدامة الزراعية، وضغوط التحديث التكنولوجي المهددة للخبرات المحلية، وهجرة الشباب للمدن بحثا عن فرص جديدة، مما يعرض الاستمرارية الثقافية والهياكل الاجتماعية للتفكك، وعليه يمكن القول إن المخيال الشعبي الثقافي لسكانه بلدة عمر يضم ممارسات طقوسية تبرز لنا هذه العلاقة عبر عادتين احتفاليتين مرتبطتين بالموسم الفلاحية معروفتين لدى كل ساكنة وادي ريغ، وهي تقام خلافا (من ناحية التاريخ والوقت) لاحتفالات أخرى تتم في مختلف جغرافيا الدولة الجزائرية وهما:

1.1.8 العادة المحلية زيارة النخلة (أدور نتازديت بالشلحية):

تمثل طقوس "زيارة النخلة" (أدور نتازديت) في بلدة عمر بوادي ريغ نظاما ثقافيا شاملا يجسد الهوية المكانية والذاكرة الجمعية للمجتمع، حيث تقام هذه الممارسة السنوية في شهر جويلية تزامنا مع تحول لون البلح (الغيوان) من الأخضر إلى الأصفر، حيث تجمع بين الأبعاد الإنتاجية (تقليم العراجين، دعم الثمار) والرمزية الدينية (شكر الخالق على نجاح الموسم).

يتجلى البعد المجتمعي في هذه العادة عبر التفاعل الواسع بين الفئات العمرية، بالانتقال إلى منطقة تدعى بساتين النخيل ("عزيز")، فيتم فيها:

- توزيع الأكلة الطقسية (المحاجب) كآلية للتبادل الرمزي.
- طقوس الزواج التقليدية (مرحمة العقادة) وهي قطعة حمراء مربعة الشكل، ترسل للفئة كتعبير غير مباشر عن الرغبة في الارتباط.
- عروض الفرق الفولكلورية (رجال الحضرة) والأسواق الحرفية.
- تجسيد "التضامن الاجتماعي عبر اجتماع الأعيان من المناطق المجاورة لحل النزاعات وتبادل الخبرات الزراعية.

تعد هذه الاحتفالية نموذجا لأنثروبولوجيا الطقس الزراعي حيث توظيف

الممارسات الفلاحية:

- كإطار لبناء الهوية المحلية.

- كمنصة لإعادة إنتاج القيم المشتركة.

- كآلية مرنة لإدارة التحولات المجتمعية والبيئية في مواجهة التحديات الحديثة.

2.1.8 العادة المحلية لمبات (أمنسي بالشلحية):

تمثل عادة "لمبات" (أو أمنسي بلسان الساكنة) في قرية بلدة عمر بوادي ريغ نموذجا متكاملًا للطقوس الزراعية الموسمية، حيث تقام سنويا في شهر أكتوبر بالتزامن مع موسم جني التمر، وتحمل هذه الممارسة بعدا دينيا جوهريا يعبر عن الشكر للخالق على غلة الأرض، بينما تشتق تسميتها من فعل "المبيت" في مواقع الحصاد، رمزا لاستعداد المجتمع لاستقبال موسم الوفرة.

تقام الطقوس لمبات في موقع "أوخشاش" - المستوطنة القديمة للبلدة - المجاور لصريح الولي الصالح سيدي بوبكر، مما ينتج فضاء هجينا يدمج المقدس الديني مع المقدس الإنتاجي، وهنا تتجلى الوظائف المجتمعية لهذه العادة المحلية عبر تعزيز التماسك الاجتماعي بإعداد الأطعمة الجماعية (كسكس الخشن) وتوزيعها كشكل من "اقتصاد الهبة"، مع تفعيل آليات الضبط الاجتماعي عبر وساطة الوجاء في حل النزاعات، كذلك العمل على إحياء مفهوم "التضامن الاجتماعي" بالمشاركة في ذبح المواشي وتقاسمها، وعلى الصعيد الاقتصادي-الثقافي، يسهم الطقس في دعم الصمود المحلي من خلال الترويج للحرف اليدوية القائمة على منتجات النخيل والمنسوجات، كما يعمل على نقل المعرفة التقليدية بين الأجيال، خاصة في سياق التحديات المناخية والهجرة الشبابة.

يختتم الحدث بختمة قرآنية تؤكد الربط الرمزي بين البركة الإلهية والنجاح الفلاحي، ويوصفها نظاما ثقافيا تظهر العادة المحلية "لمبات" قدرة على تحويل الفضاء الزراعي إلى منصة لإنتاج الهوية الريفية، حيث تعيد توظيف التراث الغذائي والممارسات الإنتاجية كرموز هوياتية، كما تعد آلية مرنة لإدارة التحولات المجتمعية، عبر إحياء الرأسمال الاجتماعي والرمزي في مواجهة تهديدات التحديث والانقطاع الثقافي مما يجعلها نموذجا لأنثروبولوجيا الجيو-ثقافي التي تدمج الزمان الزراعي والمكان التاريخي في نسيج طقسي واحد.

2.8 الأصل التاريخي والثقافي والديني للعادة المحلية والهدف من ممارستها:

تعد عادة زيارة النخلة ولمبات عادات ثقافية اجتماعية ذات رمزية دينية، فمختلف الممارسات والطقوس التي تضمها قديمة ومتجذرة في التاريخ قدم ساكنة البلدة في إقليم واد ريغ، حيث مارسوها عبر أجيال متعاقبة ومتأثرة بالظروف الاجتماعية والثقافية والدينية التي عايشوها، وحاولوا من خلالها إبراز نمط العلاقات الاجتماعية والتماسك العرقي واللغوي الذي يجمع الساكنة بعضهم ببعض، والملح الاقتصادي والثقافي الذي يميزهم عن باقي المجتمعات الموزعة على جغرافيا الدولة الجزائرية.

لذلك فإن رمزية الدين في المعتقد القروي الذي يفرض وجوب التقرب لله عز وجل عبر الشكر والحمد على النعمة يكون حاضرا ويصبغ كل الحياة الثقافية للساكنة، لذلك نراهم يعتمدون على أنماط ثقافية تجسد هذه الرمزية في حياتهم اليومية عبر تطبيق تقاليد وطقوس خاصة في مناسبات تظهر من خلال الأنظمة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية تتعلق أساسا ببدو صلاح البلح وجني التمر، والقيام بزيارة خاصة لأضرحة الأولياء الذين يعتقدون بصلاحهم واستمرار بركتهم على أهل القرية وتربة زرعهم، .. وهي ظاهرة من الظواهر التي تتعلق بالجانب الثقافي والاجتماعي بالإقليم (وادي ريغ ككل) فكل ضريح من الأضرحة المنتشرة عبر الإقليم وقت معلوم تشد إليه الرحال لزيارتهم وإقامة الطقوس من حوله ويجتمع فيها المتصوفة والفقراء والدرويش لإنشاد المدائح والرقص والألعاب البهلوانية وتقام فيها الذبائح¹⁰. وهي بما تتضمنه من شعائر دينية وعادات اجتماعية وممارسات مختلفة تشكل إعادة لإنتاج الدين وإبقائه حاضرا في حياة الناس عبر الأجيال من جهة وما تحققه من تقوية للروابط العائلية وتعزيز العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى.¹¹

وهذه الخاصية تتجلى في الأفراد بشكل غريزي وفطري يدفعهم للمشاركة والتفاعل مع بعضهم البعض وبكل فئاتهم الاجتماعية سعيا لمساعدة الآخر في مواجهة صعوبات الحياة القاسية في المناخ الصحراوي.

أما من الناحية الاجتماعية فإن المقومات الرئيسية التي تميز المظهر الثقافي لممارسة العادة المحلية وطقوسها يسجل حضوره بقوة فيها، ويستند أساسا على القيم

الاجتماعية التي تعكس أواصر الترابط والتماسك ضمن ما يسمى بالعائلة الواحدة حيث يشارك فيها الجميع بدون استثناء، خاصة في ما يتعلق بإعداد الطعام من قبل العائلات وتوزيعه على بعضهم البعض وعلى الجيران والوافدين لإحياء هذه العادات المحلية، وهذه الممارسة تعكس لنا حرص الساكنة على إتاحة الفرصة للتصالح بين المتخاصمين وترك النزاعات باسم (ملح اليديين) كما هو وارد في الأمثال الشعبية لديهم.

وهذه القيم التي تعكسها تشهد فعاليتها مظاهر متداخلة في مكونات الإنسانية، وتتمثل ثوابت ذلك في مجالس الصلح التي يتم عقدها ضمن مراسيم الاحتفال (بالعادات) وفق التقاليد المتوارثة، وتسهم في حل المشكلات العالقة بين الأفراد والعائلات، ولم شمل الأسر المتخاصمة، وتقديم المساعدات الإنسانية إلى العائلات الفقيرة، كما تعكس لنا مظاهر التواصل الاجتماعي في ما نشهد من تبادل الزيارات بين الوافدين من القرى المجاورة وتنشيط اللقاءات بينهم، وتبادل التبريكات في المجالس التقليدية والشعبية، وتلك ظاهرة مجتمعية تسهم بشكل تفاعلي في القضاء على مظاهر الفرقة وتعزيز الوحدة والسلام الاجتماعي.¹² فعلى الرغم من التغيرات التي مست مظاهر الإحتفال بالعادات المحلية في بلدة عمر نتيجة عوامل التغير الاجتماعي والثقافي التي مس التراث الشعبي للمنطقة إلا أنها بقيت تحمل معاني التضامن والتكاتف بين ساكنة القرية بكل فئاتهم وطبقاتهم الاجتماعية والتي يحتفل بها في كل العوائل والبيوت، وهي فرصة لنقوية للحمية والتأخي والتأزر بين سكان إقليم واد ريغ عموماً باستقبال الوافدين من شتى القرى للمشاركة وإحياء هذه المناسبة، فتتصب لهم الموائد وبها الأكلة الرسمية الخاصة بالعادة وتذبح الجوزور (المواشي) ويوزع الطعام على كل من حضر صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم.

يمثل استمرار ممارسة العادات المحلية عبر الأجيال في قرية بلدة عمر ظاهرة ثقافية ذات دلالة أنثروبولوجية عميقة، حيث تعد هذه الطقوس مناسبات مقدسة توظف كآليات لتمكين المجتمع وضبط سلوكياته، وإقامة النشاطات في البساتين والغابات المجاورة تعزز الترابط البيئي-الثقافي، وتعمل كمنصة تربية حية تبرز

للأجيال الجديدة طبيعة العلاقة بين الإنسان والطبيعة، بما تولده من راحة نفسية ووعي بيئي أثناء ممارسة الأنشطة التقليدية كالتسابق في تسلق النخيل. تتحول هذه المناسبات إلى فضاءاتٍ لتبادل المعرفة الزراعية المتخصصة (خاصة حول نخيل التمر)، حيث يناقش المزارعون سبل تنمية المحاصيل، ومواجهة التحديات الحرجة كالآفات الزراعية، وشح المياه، وتهديد التصحر لموسم الجني، وينتج هذا التفاعل حلولاً تشاركية تعزز الصمود الاقتصادي، بينما تحيي الممارسات الرياضية التراثية الذاكرة الجماعية، مما يجعل الطقوس أداة متعددة الوظائف، منها ما هو نفسي لرفع المعنويات، وتربوي من أجل نقل الخبرات، وبيئي لأجل تعزيز الوعي بالاستدامة، وما هو إقتصادي كذلك لمواجهة تهديدات الإنتاج، فهذا التداخل يظهر كيف تحول المجتمعات الريفية الطقوس إلى نظم معرفية حية تواجه بها التحولات البيئية والاجتماعية، مع الحفاظ على قدسية التراث كمرجعية لهويتها الجماعية.

4. خاتمة:

تظهر الممارسات الطقوسية والعادات المرتبطة بالفضاءات الطبيعية في بلدة عمر كيف يوظف المجتمع التراث غير المادي كآلية لتعزيز التماسك الاجتماعي والاستدامة البيئية، فهذه الطقوس التي تقام في أماكن مقدسة تاريخياً كالبساتين وضريح الشخصيات الصالحة، لا تحيي فقط الارتباط الرمزي بين الإنسان وأرضه، بل تعيد إنتاج قيم التعاون والتضامن عبر تفاعل الأجيال والفئات الاجتماعية كافة، ففي مواسم محددة (كموسم احمرار البلح وجني التمور)، يجسد الزمان والمكان زراعة للهوية الثقافية، حيث تنقل المعرفة الزراعية عبر الأجيال، وتحل النزاعات بالوساطة، وتمارس الأدوار الاجتماعية بانسجام بين الشباب في التنافس الرياضي والكبار في نقل الخبرات، والنساء في تعزيز التضامن عبر الأكالات التقليدية التي تعبر عن الامتتان الديني والارتباط المحلي .

على الصعيد الرمزي، يتجاوز الطعام (كالمحاجب والكسكس) كونه وجبة ليصبح جسراً للتواصل الاجتماعي والحفاظ على الذاكرة الجماعية، بينما تسهم

الصناعات الحرفية المستمدة من النخيل في دعم الاقتصاد غير الرسمي وتعزيز السياحة الثقافية، كما أن هذه الممارسات المتجذرة في اللغة الأمازيغية الشلحية والمفردات الزراعية، تعيد تأكيد التمايز الثقافي وتصمد في وجه التحديات البيئية الحديثة (كالصححر) عبر تجديد الوعي البيئي الديني، وبهذا المعنى، تشكل طقوس بلدة عمر نظاما معقدا من الرموز الاجتماعية والثقافية، يعكس قدرة المجتمعات الريفية على التكيف مع التغيرات عبر توظيف التراث كأداة للصمود، ومن هنا تبرز ضرورة دراسة هذه الظواهر لفهم ديناميكيات الهوية والتماسك في المجتمعات التقليدية، وتقديم نموذج للاستدامة الثقافية والبيئية في سياق عالمي متغير.

5.المراجع

- 1 -OUNISSI, Amine, and Bachir BOUHANIA. THE USE OF PRAGMATIC MARKERS IN AN ALGERIAN SOCIAL. Diss. Ahmed Draia University-Adrar, 2017.p 07
- 2- براهيم سميرة، دراسة التنوعات اللهجية الأمازيغية في الجنوب الجزائري وأهميتها في حفظ الأدب الشعبي الشفوي، أعمال ملتقى الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري، أعلامه وقضاياها الفنية والموضوعية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2018، ص 121
- 3- الينيسكو، التراث الثقافي غير المادي على طول طريق الحرير، <https://ar.unesco.org/silkroad/altrath-althqafy-ghyr-almady-ly-twl-tryq-alhryr> يوم 2025/06/09
- 4- رفيق بلعدي، التراث اللامادي ودوره في الكشف عن التداخل بين المخيال والأنثروبولوجيا، مجلة الادب واللغات، المجلد 24، العدد 01، الجزائر، 2024، ص 50
- 5- صحرة شعوية، الطقوس الإحتفالية بالجزائر إحتفالية يناير أنموذجا دراسة أنثروبولوجية بولاية تبسة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تبسة، الجزائر، 2020-2021 ص 72
- 6- بن عرفة إبراهيم، الممارسات الطقوسية والإحتفالية وعلاقتها بالنشاط الفلاحي - دراسة أنثروبولوجية في منطقة بئر الذهب ولاية تبسة الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية

العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة علي لونيسي البلدية 02، الجائر 2018/2019، ص

164

7- المرجع نفسه، ص 165

8- نسيم لغريبي، التاريخ الاجتماعي لإقليم وادي ريغ من خلال كتب الرحالة، مجلت

دراسات تاريخية، المجلد 10 العدد الأول سنة 2022، ص 403

9- سعيد محمد، العادات والتقاليد الشعبية ظاهرة التوزيع وأبعادها الاجتماعية والثقافية

والاقتصادية، مجلة الأدب، العدد 13 جامعة تلمسان، ديسمبر 2007 ص 90

10- نسيم لغريبي، مرجع سابق، ص 403

11- مطرف عمر، بن معمر بوخضرة، الأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع

الجزائري العادات الاجتماعية والمظاهر الفرجوية- دراسة انثربولوجية، مجلة العلوم الإنسانية

والاجتماعية، العدد 52، ديسمبر 2019، ص 388

12- المرجع نفسه، ص 388